اقترابـاً مـن جغـرافيـا درويـش

أسمـــاء الغـــول
كاتبة -غزة

مرعبة اللحظات التي ستأتي ، أفتقده فيها وأتذكر عينيه.. صوته..تعليقاته الساخرة.. حنانه ، وامتلاكه سلطة البداهة ، لقد كان غريباً في مدينة غريبة ، يحتفظ بتذمره داخله من سذاجة مستضيفه إلا أن الضيق لا يلامس ملامحه.

قوي، يلتزم بتعليمات طبيب القلب، كل الحياة في صوته وضحكته وجسده الطويل الرشيق، الذي لا أتخيل الآن أي كفن ذاك الذي يلفه.

درويش العذب الذي كان يناديني بـ...يا بنت...، وتارة: ...يا عمو... وحين اعترضت ضحك قائلاً: بماذا أناديك إذن يا غزاوية؟...فأرد مدافعة أنا لست غزاوية أنا لاجئة من صرفند العمار. درويش وصف مدينة سيؤول بالجيدة، لكنه مصر ألا مدينة تنافس في جمالها باريس، سألني أين تقع مدينة جونجو الريفية في شمال أم جنوب سيؤول؟، فأجبت دون تردد في الشمال، وبصوت منخفض أضعف تبعتها بـ...أظن...، ثم سألني عن اسم النهر الذي يمر تحتنا؟ فأجبت لست جيدة بالجغرافيا، فقال بغضب طفيف: كيف تقولين إذن أنك دليلٌ سياحيٌ؟!.

صراحة الأمر أني كنت فاشلة سياحياً كما أني لم أتقن سوى أربع عبارات بالكورية إلا أنه كان يجب أن أقول أني أعرف كل شيء حتى أبقى مع درويش الذي انفصل عن فريق بقية الأدباء بسبب فوضى وتعب برنامجهم، وتوجه إلى سيؤول بصحبة الناقدين الفلسطينيين فخري صالح وفيصل دراج.

لقد كان التحايل على المنظمين بأنني لا يجب أن أتركهم وحدهم بحجة أني أكثر خبرة منهم بكوريا الجنوبية، هو الحل الذي سيجعلني بقرب درويش، الحلم الذي لم أستطع تحقيقه على أرض المتاح من الوطن.

غريبة أصبحت دليلاً لغريب على أرض غريبة، قلت لنفسي سأخبره لاحقاً عن رغبتي بإجراء حوار معه، وبدأت شهيتي الصحافية تغريني، ولكني همست لذاتي: سيعطينني ساعة أو ساعتين، وربما يجيب عن عشرين سؤالاً، لكن هل هذا ما أريده حقاً؟، لا.

أردت أكثر من ذلك أردت أن أكون بقربه، ما يكفي لواحدة مثلي تمتلك محبة أكثر مما تمتلك من مهارات دليل سياحي..أردت أن أكون دليلاً من نوع آخر كي أصل إلى خرائطه الإنسانية..فأي خريطة ودليل يجعلني أقترب من جغرافيا درويش؟!.

وكانت هذه مهمة أعمق وأصعب فقد كنت أرصد وأحفظ وأتعامل مع الإنسان قبل الشاعر، وأردت أن أرصده كانسان ولكنه ليس إنساناً عادياً بل هو الشاعر والإنسان، أنات كثيرة متداخلة، وحين أراقبه كانسان أعرف أني لن أراقبه لو لم يكن الشاعر.

انه خليط من الشاعر محمود درويش، المهيب، الشاعر الجماهيري، الشاعر الذي لا يوجد مثله شاعر في العالم يملأ آلاف الكراسي والبقية يفترشون الأرض، القاسي والحذر الذي قد لا يتذكر اسمك ويفكر جيداً قبل أن يجيبك.

وهناك درويش الإنسان الذي لا تدخل إلى عاديته قبل أن تنال ثقته، انه الرجل الذي يكره أن يرتدي ربطات العنق، ويحب التأنق بالأسود والكحلي، كما أنه يفضل أكل الستيك، ويستغرب من المدلكة الكورية العجوز العمياء كيف عرفت رقم الغرفة الصحيح دون أن يوجهها أحد.

ويحب أن يعرف أسماء المناطق، ويكره المسافات الطويلة بالسيارة، وفكاهي لاذع من محبيه، ويعترف أنه يتابع الدراما العربية، متسائلاً :عن آخر حلقة من مسلسل الملك فاروق؟، كما يكره أن يجادل البائع على ثمن البضاعة، ويستعجلني حين أحاول تخفيض سعر الهدايا، ويسخر مني: شاطرة.

محمود الذي يحب المشي، والمناطق الجديدة، وتجربة المطاعم الأنيقة، ولا يهمه أن يتابع أخبار العالم إلكترونياً، محمود الذي رأيت شفقة العالم في عينيه على ارتباكي حين قدمت له مفرشاً مطرزاً بالرسومات الكورية، قائلة: سمعت أن عندك طقم كنب يناسب هذا اللون.

سألني كثيراً عن غزة التي سماها في أحد كتبه أرض البأس والبؤس، وحدثنا عن أول مرة زارها فيها، وظل يستمع إلى ثرثرتي وانفعالي بما آلت إليه غزة، واقترح أن أكتب ما أقوله، فرددت: أني فعلت في مجموعتي الأولى. وأهديته بعض قصصي التي انتقيتها له. أي موت هذا الذي أخذ درويش، وهو شاعر الحياة وموت الموت، أي موت هذا الذي أماته درويش مراراً، ووضعه في قفصه وأشار إليه عورتك هنا يا موت وذلك في كل قدر لقلبه مع العدد ثمانية للعامين ١٩٨٤ و١٩٩٨ التي أجرى خلالهما عمليتي قلب مفتوح.

وجاء شهر ثمانية في ٢٠٠٨ وأعلن الموت عناده وميعاده الذي عرفه درويش جيداً، وهذا لم يكن يخشاه إن ما يخشاه كما قال في حضرة الغياب: ...فقد تموت ولا ينفتح الباب، فتبقى أنت والموت وحيدين في الداخل. يا لها من خاطرة خبيثة: تريد أن تتزوج من امرأة لا وظيفة لها إلا إعلان موتك! يا لها من أنانية! يا له من حب يزف النعي للنعي....

درويش أجاب فخري صالح: لكنها لم تطلب مني ذلك، حين قال له الأخير أن أسماء تريد أن تجري معك حواراً، فقلت له: أني أجبن من أن أطلب منك ذلك، لكن هل ستعطينني حواراً؟، فرد: نعم في الوقت المناسب.

وجاء الوقت المناسب ولم أكتب، لا أدري..لكني حفظت كلامه في قلبي..لقد قال الأشياء بحزن أقل وبساطة أكبر.

من بعض ما قاله لي ولأستاذ دراج في ليلة طويلة فضل فخري صالح فيها أن ينام مبكراً : ...أشتاق لمنزلي وحين أضع المفتاح في الباب أتذكر ألا أحد ينتظرني.. لكني أفتقد عادات وحدتي.. لم أعرف حباً كبيراً مزلزلاً لكني عرفت الشغف الذي بنفس السرعة التي يظهر فيها، يختفي. جاء قراري بأن أكون شاعراً متأخراً.. ربما في فترة من الفترات كان المتنبي حاضراً في ذهني لكن لم يكن هناك أحد أريد أن أكونه بالتحديد. الشعر هو فن الحذف...أحب أن أعطي النص لعدد كبير من الناس: ...الصديق العادي، والناقد، والشاعر... وأستمع لرأيهم بجدية قبل أن أنشره، وأخشى ما أخشاه أن يشعر أحدهم أن النص يشبه نصوصي، وحين أكتب شيئاً يشبه ما كتبته سابقاً أو يشبهني أمزقه. لا أتعامل مع نفسي أني ذاك الشاعر الكبير وحين أضع رأسي على المخدة أنام، جهازي العصبي لا يحتمل شريكاً في حياتي.. والحقيقة أني لم أبادر في حياتي نحو امرأة، بل هن المبادرات، لا أصدق تصفيق الناس، أحب أن أطبخ وأن أصنع القهوة وأن ألعب الطاولة مع جاري في البناية....

من منا لم يقع في غرام درويش؟ من منا لم يرد أن يناديه درويش بأي شيء: يا عمو، يا ولد، يا بنت..كأنه يبحث فيه

من يحتاج مجلساً أعلى للثقافة؟

فاضل السلطاني

لا نعرف شيئاً بعد عن طبيعة " المجلس الأعلى للثقافة "، الذي أعلنت الحكومة العراقية عن تأسيسه، حسب البيان الصادر عنها في ٨/٢٧ . كل ما عرفناه أن الهدف من تشكيل هذا المجلس هو" تسهيل مهمة المثقف العراقي وتوفير الحياة الكريمة له"، و" إن الدولة ستأخذ الدور الحيادي في علاقتها مع عمل المثقف والمثقفين". وعلينا أن ننتظر بضعة أيام لنعرف من سيتولى المهمة: مجلس الوزراء، أم وزارة الثقافة، كما هو مفترض، وكيف يتم تشكيل هذا المجلس، وعلى أية أسس. وفي الأغلب، إن لم يكن أمراً أكيداً، إنها الأسس نفسها التي خضعت لها وزارة الثقافة، ونعني بها عملية المحاصصة سيئة الذكر، حالها حال الوزارات والمؤسسات الحكومية الأخرى. ونتيجة لذلك، ظلت الوزارة لفترة طويلة مثل ابنة حرام لا أحد يريد أن يتزوجها حتى زوجوها لقاتل. وأقصى ما فعلته هذه البائسة الجديرة بالرثاء، أطلاق بالونات فارغة سمتها" مهرجانات ثقافية" في عدد من العواصم العربية والأجنبية، حضر فيها كل شيء إلا الثقافة.

ماذا ننتظر من مجلس أعلى للثقافة والآداب في وضع كهذا؟ وكيف"سيسهل عمل المثقف والمثقفين"؟ إذا إرادت الحكومة العراقية، في لحظة صحوة ثقافية متأخرة، أن تنقذ الثقافة العراقية فعلاً، فأمامها طريقة واحدة فقط: هو تقديم دعم سخي غير مشروط للمؤسسات الثقافية القائمة، كاتحاد الكتاب والأدباء، والفرق المسرحية التي لا تملك حتى مقرات ملائمة، والجمعيات التشكيلية والموسيقية المشلولة، وكذلك المشاريع والوحدات السينمائية التي يمكن أن تنشأ في المستقبل في حالة الاستقرار الأمني.

للأسف ، ما تزال الثقافة هي العدو الأول لقطاعات في الدولة والحكومة ، بوعي أو دون وعي ، وتجسد ذلك في توكيل أمرها ، مرة لشرطي سابق(مع احترامنا للمهنة) ، ومرة لقاتل. وما تزال هذه القطاعات فاعلة في انتاج مزيد من الجهل والبؤس.

لا يحتاج المثقف العراقي، هذا الذي ما يزال يحفر في الصخر، إلى أداة حكومية أخرى لا تنتج سوى البيروقراطية والفساد، ومزيداً من التعطيل الثقافي للبلد كله، والخراب النفسي للمثقف نفسه. وتجربة السنوات الماضية من عمل الحكومة "الثقافي"، من خلال وزارة الثقافة، تثبت بالدليل القاطع أنها لا تملك أية سياسة واضحة فيما يخص الواقع الثقافي العام، وآليات عمله والنهوض به بعد التشويه الهائل الذي لحق بهذا الواقع نتيجة الفكر البعثي الشمولي، والقمع الاستثنائي الفريد الذي تعرض له المثقف العراقي لعقود طويلة. لقد وجه النظام البعثي ضربته الاولى ضد المثقف العراقي، والثقافة العراقية، قبل أن يوجهه للسياسيين، وعلينا أن نعترف بهذه الحقيقة، لأنه كان يعرف جيداً، بغريزته الفاشية البدائية، إن الثقافة هي العدو الأول، كما عرفت النازية الألمانية قبله هذه الحقيقة، وبالغريزة والذكاء معاً.

وللأسف، ما تزال الثقافة هي العدو الأول لقطاعات في الدولة والحكومة، بوعي أو دون وعي، وتجسد ذلك في توكيل أمرها، مرة لشرطي سابق(مع احترامنا للمهنة)، ومرة لقاتل. وما تزال هذه القطاعات فاعلة في انتاج مزيد من الجهل والبؤس.

لا نشك في نيات السيد رئيس الوزراء، لكن المقدمات الخاطئة لا يمكن أن تقود إلى نتائج جيدة. وأولى هذا المقدمات التي يجب تصويبها هي وزارة الثقافة. إنها بحاجة إلى هزة كبرى، لا بد أن يضغط المثقفون أولاً من أجل تحقيقها. وقبل كل شيء، تحريرها من أسر المحاصصة. وحتى يتحقق ذلك، سنتفاءل بتشكيل مجلس أعلى للثقافة، يختاره المثقفون بأنفسهم ، ويديره المثقفون أنفسهم بالأشكال التي يرونها مناسبة للوضع الثقافي العراقي المتردي، وبما يليق بالثقافة العراقية، التي ما تزال شاة سوداء في حظيرة فصائل المحاصصة، وبشرط لا يمكن أن يخضع للمساومة: أن يتمتع مثل هذا المجلس باستقلالية تامة في إدارة شؤونه، ألا يكون خاضعاً سوى لشروطه الثقافية، وان يقتصر دور الحكومة على الدعم المالي، كما هو حاصل في البلدان الديمقراطية الحقيقية. وعكس ذلك، سنظل نعيد إنتاج كل التجارب الفاشلة السابقة، التي حاولت فيها الدولة أن تدير العملية الثقافية من خلال أجهزتها الحكومية البيروقراطية، وحسب توجهاتها السياسية الضيقة، فألحقت ضرراً بالغاً بالثقافة العراقية ما نزال ندفع أثمانه الباهظة حتى الآن.

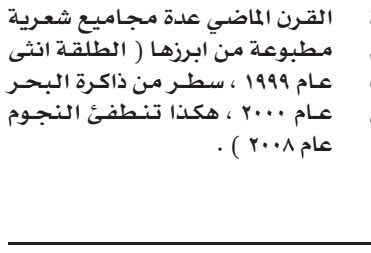

استذكارا لسولنجستين عبقري الواقعية الاشتراكية

مـايكل سكـاميل
تـرجمـة:عمـار كـاظم محمـد

كان اول ما اتذكره من قراءتي الاولى لروايته " يوم في حياة ايفان دينزوفيتج " التي نشرتها مجلة نوفي مير عام ١٩٦٢ ليس فقط المشاعر التي استطاع ان يراوغ فيها المؤلف الرقيب بشكل رائع فحسب بل الاثارة التي يواجه فيها المؤلف التقاليد المفروضة للكتابة بشكل مدهش .

كانت هناك قصة واقعية من حياة معسكرات العمل تعتمد على خبرة سولنجستين التي تمتد لثماني سنوات من العمل في مختلف المعسكرات والتي كانت تنبض على الصفحة بتعابير حية كانت تتسابق حد الجنون في ظاهرة لم يسبق لها مثيل في الادب السوفيتي المنشور وفي الادب الروسي النادر في اي فترة سابقة .

كانت اللغة غنية بالتعابير والتلميحات الشعبية وترتبط في ذات الوقت بالتعابير الجديدة المبدعة حيث كان تاثير هذا التطور في لهجة موسكو يتمثل بملاحظة مزورة يتحمل انها نسبت الشاعرة الروسية آنا اخماتوفا تقول فيها " يا الهي ، لقد وجدت الواقعية الاشتراكية عبقريها " .

ما فعله سولنجستين في الحقيقة كان صراعا مع اللغة الميتة للواقعية الاشتراكية بلغة عامية قوية اثبتت انها كانت اسلوبا مثاليا لعكس صورة العالم القاسي للمعسكرات تصب من منظور انساني واخلاقي لما تعانيه الشيوعية من تناقض وكان بطله ايفان دينزوفج يضرب مثلا لأي انسان، بينما الروسي سانشو بانزا و الجندي الجيد شويك يجسدان مصدرا غنيا للمكر والمحنة التي يعانيها الشعب الروسي تحت الحكم الشيوعي تلك التركيبة الصغيرة في المعسكر اصبحت عالما صغيرا يمثل "مركب البلاد الكبيرة ككل " ويفهم القراء هذه المقارنة فورا .

كان تكنيك سولنجستين ينظر من خلف اكتاف شوخوف ان صح التعبير حيث يتحرك جيئة وذهابا في تيار وعيه ويرينا المعسكر من خلال نظرته .

حيث نراقبه وهو يتسلق من اسفل السرير في فجر مجمد ويعاقب لوصوله الى وظيفته متأخرا حيث نصاحب ماضيه باسيجته المغطاة بالثلوج والاسلاك الشائكة وعقوبات المعسكر .

كان هناك مجموعة من الضباط يحيطون بمحرار المعسكر ويقول احدهم " لا تتنفس عليه والا سترتفع درجة الحرارة " فيرد الثاني " ليس من المحتمل ذلك " بينما يقول الثالث " سبع عشرة تحت الصفر انها درجة كافية لتجميد الدم في عروقهم لكنها ليست كافية لايقاف العمل " .

ان اغلب التقديرات الاخيرة لسولنجستين الذي توفي في وقت مبكر من الشهر الماضي قد تركزت على كفاحه الضخم ضد النظام السوفيتي وهو بالتاكيد امر صحيح لكن ما يبدو انه مفقود في كل ذلك هو السبب الذي كان يصغي اليه في المقام الاول وهو مزاياه ككاتب .

سولنجستين

يذهب شوخوف لتناول حصته في قاعة الطعام حيث يسير الى العمل ومن خلال قصص زملائه السجناء يقدمون لنا تاريخا آخر للأتحاد السوفيتي .

كان هو نفسه فلاحا روسيا مثاليا قد تم اذلاله ظاهريا لكنه كان متمردا داخليا وكان ملف شوخوف يرينا انه كان في المعسكر لأتهامه بالخيانة حيث يقول:- نعم ، لقد كان صحيحا انه استسلم لانه يريد خيانة وطنه وقد عاد بمهمة للمخابرات الالمانية ولكن ما كانت تلك المهمة ؟ لاهو ولا المحققون يعلمون عنها شيئا لذلك ترك على هذه الحالة انه في مهمة.

لقد كان تفكير شوخوف ساذجا جدا حيث انه اذا لم توقع على ما يقدم لك فانك سوف تتحول الى معطف متخشب واذا وقعت فسوف يبقى حكما معلقا على الاقل لفترة اطول ولذلك فقد وقع على كل ما يقدم اليه .

كان يمكن ان يكون ايفان دينزوفيج اعجوبة عرض واحد لكن سولنجستين استمر بنشر سلسلة من القصص وروايتين كبيرتين اكدتا صلابة موهبته . افضل تلك القصص هي " ماتريونا بليس " عام ١٩٦٣ حيث يمثل نسخة نسائية سلبية لايفان ديزنوفيج في حكاية التواضع والمعاناة المسيحية لكن القصة المفضلة لدي هي " زخار الكيس " الصادرة عام ١٩٦٦ حول ذلك الوكيل الخشن والصعب الذي يعتبر عمل حياته ان يدافع عن نصب وطني يمثل رقعة من التاريخ من المخربين حقيقة ورمزا لقد كان رجلا شرسا حيث يبدو قليلا كرجال العصابات وكانت لديه ذراعان وارجل كبيرة حيث حل ازار قميصه بشكل مهمل ووضع قبعة من القش على جانب شعره الرمادي لم يحلق منذ اسبوع وتبدو على خده ندبة حمراء كلما صرخ كيف جئت الى هنا؟ انا احذرك فابعد دراجتك عن العشب .

عن الهيرالد تربيون

رسالة الناصرية الثقافية

ادبـاء في النـاصريـة يحتفـون بـالشـاعـرة رسميـة محيبـس زايـر

حسين العامل
النـــاصـــريـــة

احتفت الاوساط الادبية والثقافية في مدينة الناصرية بالشاعرة رسمية محيبس زاير وذلك باقامة امسية شعرية نظمها اتحاد ادباء وكتاب ذي قار على قاعة المركز الثقافي بالناصرية .

واستهلت الامسية التي ادارها القاص كاظم الحصيني وحضرها جمع كبير من النخب الثقافية والمهتمين بالشان الادبي بعرض ريبورتاج تلفزيوني عن حياة الشاعرة اعده مدير مكتب قناة الفيحاء في الناصرية الشاعر علي الشيال بعدها تحدثت الشاعرة عن تجربتها الادبية والحياتية وعلاقتها بالشاعر كزار حنتوش اعقبت ذلك قراءة شعرية استهلتها الشاعرة بقصيد فوضى المكان وقصيدة نافذة ثم القت قصيدة شعرية بعنوان لو كنت حاضرا رثت فيها الشاعرة وناجت زوجها الراحل الشاعر كزار حنتوش اما قصيدة غرناطة فقد كانت مسك الختام للامسية الشعرية التي تواصلت على مدى ساعتين معطرة بعبق الشعر.

وقالت الشاعرة المولودة عام ١٩٥٥ في قضاء الشطرة شمال الناصرية للمدى :

في هذة الامسية جددت اللقاء مع النخب الادبية ومحبي الشعر في الناصرية ولاسيما بعد انقطاعي عن الجلسات الشعرية التي داب اتحاد ادباء ذي قار على اقامتها منذ ثمانينيات القرن الماضي وعدت الشاعرة هذه الامسية فرصة لتجديد البيعة لمدينتها الناصرية التي عادت لها من الديوانية بعد رحيل الشاعر كزار حنتوش .

وللشاعرة التي يمتد عمر تجربتها الشعرية الى أواسط سبعينيات القرن الماضي عدة مجاميع شعرية مطبوعة من ابرزها (الطلقة انثى عام ١٩٩٩ ، سطر من ذاكرة البحر عام ٢٠٠٠ ، هكذا تنطفئ النجوم عام ٢٠٠٨) .